"مجيء الـربّ"
إسكاتولوجيـا سفـر الرؤيـا
"ماراناتـا"

الأخت باسمة الخوري الأنطونية
أوراق رهبانية خريف ٢٠٠٩

مقدّمـة

طوبى لمن يقرأ ويفهم!

سفر الرؤيا هو من أصعب كتب العهد الجديد، يصعب على قارئه أن يتابع سلسلة الصور الرمزيّة المشفّرة التي تتوالى فيه منذ إعلان المقدّمة: "طوبى لمن يقرأون ويحفظون"، وحتى الصلاة الختاميّة: "ماراناتا". فالمشاهد صعبة يمكن تفسيرها على أكثر من نحو، والرؤى السماويّة غريبة عما نعرفه ونفهمه، والشخصيات مذهلة لا نعرف لها هوية واضحة...

أمام نص سفر الرؤيا يشعر القارئ وكأنه أمام فصول متعدّدة من الصعب ربطها. وما أن يبدأ في فهم شيء ما، حتى يعود فيضيع البوصلة في غمرة لوحات غامضة حينًا، ورهيبة مخيفة حينًا آخر. يقرأ فيظن أنه أمام مشهد نهاية العالم، دون أن يفهم كيف سيكون ذلك. بسبب صعوبته أخذ هذا الكتاب صفة كتاب النهايات، وعُرف في العالم بكتاب الكوارث الأخيرة، فاستوحى منه المخرجون والكتّاب القصصيّون، جعلوه مصدر الوحي لأفلامهم الخياليّة، ومسلسلات الرعب والظلام اليائس.

رؤية أم رؤيا؟ وما المقصود؟

أثار سفر الرؤيا هذا، المنسوب إلى القديس يوحنا، والذي كُتب حوالي سنة ٩٠ ب.م، العديد من الشروحات. ولا يزال الكثيرون حتى اليوم، يؤمنون ويبشّرون بأنه إعلان عن نهاية العالم.

فقد تناقلت البشريّة عبر الأجيال، خبرًا مخيفًا يستند إلى رؤية مروّعة، لا يؤمن بها أحد، لكنّها تخيف الجميع، تعلن نهاية العالم والدينونة الأخيرة، وفناء كلّ الخليقة، في كارثة كونيّة نهائيّة. شكّل هذا الخبر– الإشاعة، ولا يزال حتى اليوم، مناسبة ذهبيّة استفاد منها المتشائمون، وفرصة ماسيّة أمام من يعرف كيف يصطاد خوف الناس، ليحقّق مصالح ماليّة وسياسيّة واجتماعيّة... هكذا شهدنا في أيامنا الحاضرة مثلاً، وإبتداءً من الحرب الباردة وحرب العراق، مرورًا بالعام ألفين، ثم باستهداف برجي نيويورك، والتهديدات النوويّة الحالية... إلحاحًا على التبشير باقتراب نهاية العالم، وانتظار كارثة لن تُبقي معلمًا للحياة على أرضنا. ولإسناد مقولتهم على أسس دينيّة، لجأ هؤلاء إلى خليط من النصوص الرؤيويّة، والنبوءات الخياليّة، مضافة إلى كل نبوءات العهد القديم المخيفة حيث وجدوها. ويأتي سفر الرؤيا في أصل هذا الهذيان.

يأتي عنوان الكتاب من الفعل اليوناني apocalyptein ومعناه كَشَفَ، أَعلنَ. هو الكتاب الأخير بين كتب العهد الجديد، يحتوي على سلسلة من النبوءات التي تتناول الماضي والحاضر والمستقبل، وقد وضع له كاتبه هدفًا أساسيًا، يتمحور حول الملكوت الأبدي وانتصار المسيح على الشرير، مما يعني أنه أبعد من أن يكون نصًا حرفيًا يتناول نهاية العالم يومًا فيومًا.

منذ بداية المسيحيّة، قرأ المؤمنون هذا السفر قراءة اسكاتولوجيّة (من اليونانيّة إسكاتا Eschata أي الأشياء الأخيرة، والأحداث النهائيّة)، ارتكازًا إلى معطيات النص الزمنيّة (ما سيكون)؛ وإلى الإشارات الكثيرة التي تدلّ على عودة المسيح؛ وإلى تكرار الوعود المعطاة إلى الكنائس؛ إضافة إلى وصف المعركة الأخيرة بين المسيح وقوى الشر، لتحضير مجيء عالم جديد تحقيقًا للملكوت السماوي. هكذا أخذت عبارة "ملك الألف سنة" (رؤ ٢٠) معنى الإعلان عن فترة ازدهار كبيرة سيعيشها المسيحيّون، قبل عودة المسيح، أو كرمز لمدّة حياة الكنيسة كما سنرى فيما يلي.

ليس سفر الرؤيا كتاب رعب، بل كتابًا يعبّر عن رغبة الكاتب المزدوجة في الاتّحاد أكثر فأكثر بالمسيح يسوع، وفي تحقيق عالم مثاليّ، بعيد عمّا يحياه من ألم وظلم. ليست الرؤيا إلا كتابًا يعلن بطريقته الخاصة عن إيمان المسيحيين ورجائهم عبر الأزمنة وما وراءها.

فإن كان بعض المؤمنين قد قرأوا سفر الرؤيا بطريقة أصوليّة، فرأوا فيها سيناريوًا لرزنامة أحداث ستطبع نهايات الأزمنة[١].

فإن البعض الآخر فهم، عن حق، أن سفر الرؤيا هو تعبير، ليس عن خوف من نهاية العالم، بل عن قلق من استمراريّة المحنة التي يحياها المؤمنون دون نهاية. من هنا فإن الرؤيا هي كشف "ليسوع المسيح بيسوع المسيح"، هي رؤيا المسيح الممجّد الذي به تُفتتح الرؤيا وعليه تُختتم. إنه كتاب يعرض كل سرّ المسيح منذ ولادته، إلى موته وقيامته، ومجيئه بالمجد.

بشرى سفر الرؤيا

سفر الرؤيا هو بشرى سارة، دعوة خلاصيّة معروضة أمامنا لنفهمها ونتجاوب معها. صورها الإيجابيّة واضحة لمن يريد أن يفهم. استوحاها الرائي–الكاتب من العهد القديم، بحيث لا يجب أن يجد القارئ، الذي يعرف الكتاب المقدس، صعوبة في معرفة أن صورة المرأة السماويّة هي صورة الشعب الممجّد؛ وأن الصور السلبيّة التي نقرأها في الفصل الثاني عشر المحوري، تستند إلى رسالة وحيدة مفادها "نجّنا من الشرير"، من الحية القديمة، الشيطان الذي يتّهم القديسين. صحيح أن هويّة هذا الشرير تبقى سرًا، فلا نعرف إلى من يشير بالتحديد، لكن الأكيد أنه عدو المؤمنين القوي، وأن ما يهمّ النبي–الكاتب هو الإعلان عن هزيمته، ولو أنه لا يزال حاضرًا وفاعلاً في العالم.

أمام كل الأرقام التي يعجّ بها الكتاب والغموض الذي يحيط بها[٢]، يبدأ القارئ بالتحليل استنادًا إلى علوم الحساب، ظنًّا منه أنه بذلك يصل إلى حلّ لغز نبوءة تتعلّق بنهاية العالم. لكن الرائي صاحب الرؤيا واضح في هدفه: كتاب نبوءته لا يحمل سوى بشرى وحيدة، هي البشرى السارة، إنجيل ربنا يسوع المسيح.

---

[١] ساهمت هذه القراءة بظهور مؤلّفات، تختلط فيها رؤيا يوحنا مع تنبّؤات نوسترادامس وأسرار فاطيما، ناشرة نظرة تشاؤميّة للزمنين الحاضر والآتي، وكأنّ سفر الرؤيا كتاب خيال علمي مرعب. ولد سفر الرؤيا من لقاء وحيين إلهين. الوحي الأول هو الكتب المقدّسة، والوحي الثاني هو شخص المسيح الذي تمّمها. في هذا الكتاب يمكن للكنيسة أن ترى مصيرها التاريخي، حيث تسهم الاضطهادات في غلبة الله على العالم وعلى الشرير.

وهكذا، فإن وحي المسيح يسوع هو هو "في الأمس واليوم وإلى الأبد" وهو ما ينير كل تاريخ العالم من البدء وإلى النهاية.

[٢] تلعب الأرقام في سفر الرؤيا دورًا رمزيًا كبيرًا، وتأخذ مكانًا واسعًا فنقرأ عن ١٤٤٠٠٠ شخصًا مختارًا، وعن رقم وهو ٦٦٦ علامة الوحش، وعن فترة ١٠٠٠ سنة أو ١٢٦٠ يومًا أو ٤٢ أسبوعًا أو ٣ أزمنة ونصف.

لا، ليس سفر الرؤيا سفر نهاية العالم الوشيكة المرعبة، بل هو كتاب الرجاء، كتاب خلاص الرب، وعلى هذا المستوى يُفترض بالمؤمن قراءة رموز الرؤيا. فالألف والمائتان والستون يومًا هي زمن المحنة المؤلّفة من إثنين وأربعين أسبوعًا أو ثلاث سنوات (أزمنة) ونصف، هي المحنة عينها المتمثّلة بزمن أنطيوخوس أبيفانوس الظالم، والتي يتكرّر مع كل ظالم في البشريّة. والمختارون المئة والأربعة والأربعون ألفًا هم نهاية ضلال الشعب. أما كتاب حياة الحمل المذبوح منذ تكوين العالم فهو مشروع خلاص البشر.

أعدّ الله العالم للخلاص، وكأنه مكتوب عليه الرجاء. هذا موضوع بشارة سفر الرؤيا، فهو ليس كتاب حساب بل كتاب تبشير للحاضر والمستقبل استنادًا إلى خبرة المؤمن الماضية لأمانة الله. فالأفعال في سفر الرؤيا تأتي في صيغ الماضي والحاضر والمستقبل، لتؤكّد ما يتعلّق بنهاية الأزمنة. يعرف يوحنا الشيخ أن الزمن نسبي وأن الله يستعمله بحسب إرادته القدوسة، فيكتب ليبشّر إخوته وأخواته بأننا لسنا بشرًا زائلين، وأننا لسنا ما نظنّ، بل نحن كائنات مخلّصة بنعمة الله ومحبّته.

يقرأ كاتب سفر الرؤيا العهد القديم، ويشرحه على ضوء لاهوت الإنجيل اليوحنوي، فيستنتج أن الخلاص سيأتي بالرغم من رفض الناس لله؛ وليعلن للجميع أن من يؤمن يحصل على هذا الخلاص منذ الآن. فافرحوا يا مؤمنون.

نظرة مسيحيّة بأسلوب رؤيوي يهودي

علاقة الرؤيا بالعهد القديم واضحة تمامًا. فالأسلوب الرؤيوي كان معروفًا في تاريخ الشعب اليهودي. نرى آثاره في كتابات أخنوخ، وفي كتب باروخ، وحزقيال، وزكريا، وخاصة في كتاب دانيال. يقوم هذا الأسلوب على عناصر محدّدة تتكرّر في كل الرؤى وترتكز على راءٍ، ورموز كثيرة من ألوان وأعداد وأشخاص، وخلائق أسطوريّة، إلخ.

كان هذا الأسلوب الرؤيوي ضروريًا أثناء سبي شعب إسرائيل إلى بابل، بعد انتصار نبوخذنصر (٥٨٧ ق.م.). فالشعب المهجّر والمشتّت بعد دمار الهيكل، عرف بأنه مهدّد بالذوبان في حضارة غريبة، وقد غابت عنه النبوءات وافتقر إلى الأنبياء. صمتت السماوات، وبدا الله وكأنه لا يبالي ببؤس شعبه. صرخ أشعيا: "آه، لو تُمزِّق السماوات وتنزل" (أش ٦٣:١٩)، فظهرت النصوص الرؤيويّة، التي تتخيّل نهاية مفجعة لهذا العالم المرّ، ومجيء ما هو أفضل وأكمل. انقلبت علاقة إسرائيل بإلهه في هذه النصوص، فلم تعد السماء "المغلقة" هي من ترسل علامات إلى الأرض، بل هناك راءٍ يطير نحو الأعالي، ليتلقّى وحيًا، ثم يعود لينقله إلى الناس.

يبدو سفر الرؤيا كتابًا جيّد البناء بالرغم من أن ارتباط أقسامه ببعضها البعض تبقى صعبة الفهم. العنصر الأهم في هذا البناء هو الرقم ٧. ففي الرؤيا أربع مجموعات من سبع: الرسائل السبع إلى الكنائس السبع (١:٢–٣:٢٢، بمنائرها السبع والكواكب السبع)؛ ثم سلسلة من ثلاث مجموعات من سباعية مبنيّة بشكل متوازٍ، هي فتح الأختام السبعة (٤:١–٨:٦)؛ يليها مقطعان لحدثين يتسبّب بهما سبع ملائكة، على وقع اصوات الأبواق السبعة (٨:٢؛ ٨:٧ — ٨:٢١؛ ١١:١٤–١٨)؛ ثم الكؤوس السبع (١٥:١؛ ١٥:٥ — ٦:٢١). ولا ندري إن كان في هذه المجموعات خبر عن أحداث متتالية، أم هو عرض لحدث واحد بوجوهه كافّة؟ إلى جانب هذه المجموعات المسبّعة، سلسلة سبعيات أخرى كالرؤى السبع (١٠:١٩ — ١٥:٨)، والكلمات السبع ضد بابل (١٧:١ — ١٩:١٠) والرؤى السبع الأخيرة (١٩:١١ — ٢١:٨)، وسبعة أمور تحدث أمام العرش السماوي (٤:١–٥:١٤؛ ٧:٩–٨:١–٤؛ ١١:١٥–١٨؛ ١٤:١–٥؛ ١٥:٢–٨؛ ١٩:١–١٠)؛ والتطويبات السبع (١:٣؛ ١٤:١٣؛ ١٦:١٥؛ ١٩:٩؛ ٢٠:٦؛ ٢٢:٧، ١٤) وسبعة تعابير للدلالة على الأمم والشعوب والقبائل واللغات والمرات السبع التي يذكر فيها الله مع الحمل (٥:١٣؛ ٦:١٦؛ ٧:١٠؛ ١٤:٤؛ ٢٢؛ ٢٢:١؛ ٢٢:٣)؛ والعناصر السبعة في تمجيد الحمل ذي القرون السبعة، والعيون السبع (٥:١٢)، وفي عبادة الله (٧:١٢)؛ إضافة إلى فئات البشر السبع الذين يفرّون عند فتح الختم السابع (٦:١٥). يستعمل الكاتب في كل ذلك رموزًا بيبليّة، مستعارة من عالم الكتب العبريّة، ليعيد إخراجها في سيناريو رؤيوي، فيخلق عالمًا من المعاني، يبرز فيه تاريخ الشعب. إن هذا الشعب الذي اختاره الله ليكون أمام الأمم نورًا إلهيًا، تحوّل بمجيء مسيحه إلى كنيسة انبثقت منه لتضمّ كل الأمم.

هذا ما حدث بعد موت يسوع. ففي سنة ٧٠ ميلاديّة، طُرد الشعب اليهودي بعنف من أرضه على يد السلطة الرومانية، وهُدم الهيكل، فلم يبقَ أمام الناس من خيار إلا الشتات. وكما في السابق، بدأت المؤلفات الرؤيويّة بالظهور تمحورت هذه الكتابات حول موضوعين: الأول هو الاعتقادات اليهوديّة وإيمانها بعالم أزلي علوي يتخطّى العالم الحاضر المنظور؛ والثاني هو التساؤل عن سبب الشرّ، وعن مكانة الله السيّد في عالم يسود فيه الشرير. لكن هذه الرؤى عرفت فورة وراحت تتكاثر دون أي رادع، فشكّلت خطرًا على الإيمان الحق، مما أدّى بالسلطات اليهوديّة في الشتات إلى رفضها وتحريمها. هنا تدخّل المسيحيون الأوائل، وغالبيّتهم من أصول يهوديّة، ليتبنّوا هذا الأسلوب الذي رأوا فيه امتدادًا لنبوءات العهد الجديد، فولد سفر الرؤيا، بلغة يونانيّة ولكن بفكر يهودي أكيد[٣].

من كتب العهد القديم، تستعيد الرؤيا مواضيع مهمّة مثل الدينونة والخلاص في نهاية الأزمنة، أو موضوع يوم الرب؛ كما تستعيد الشخصيّات والأمكنة والأحداث الأساسيّة في التاريخ المقدّس[٤]، لتعلن أن ما كان يختص بإسرائيل وحده في التوراة والأنبياء، بات الآن يشمل الكون بأسره، وأن جماعات المسيح المتأتّية من كل جنس ولغة (رؤ ١:٦؛ ٥:١٠) سترث مملكة الكهنة (حز ١٩:٦) الذين يأتون من كل الأمم (رؤ ٥:٦). في رؤياه، يعمد يوحنا الرائي إلى شرح التقاليد القديمة على طريقة الأنبياء، مستعملاً المعطيات الأدبيّة المستلّة من العهد القديم[٥]

هدف سفر الوحي والكشف هذا، إلى توحيد الصفوف وتشجيعها أمام الاضطهادات الآتية. كان الرسولان بطرس وبولس قد استشهدا في السنوات ٦٠ في روما، وكان الصراع بين المسيحيين واليهود قد بدأ بالتعاظم، وقد فرض دوميسيان منذ سنة ٨١ عبادة الامبراطور "الرب والإله". انجرّت كنائس آسيا مع التيارات العديدة الجارفة، فظهرت الهرطقات: في تياتيرة لم يتوانَ المسيحيون عن المشاركة في أكل اللحوم المقدَّمة للأصنام، وفي أفسس افتخر النيقولاويون بالسكر، رافعين كأس المسيح... فكان لا بدّ من إعادة الجماعات المسيحية إلى جذريّة الإنجيل وإلى الحماسة الأولى، من خلال التذكير بنهاية الأزمنة، والدينونة التي تهدّد البشريّة في كل لحظة. فكانت فكرة نص يختتم ما بدأه سفر التكوين، بطريقة لا تُنسى، من خلال العودة إلى شجرة الحياة، والحية القديمة، ونمرود المتسلّط على بابل، والنبي الكذاب المتسلّط على بابيلونيا...

قراءة نبويّة للواقع

كما كل كتاب نبوي، يتجذّر سفر الرؤيا في التاريخ الواقعي الذي كانت تسيطر عليه الامبراطوريّة الرومانية. يفتح السفر كل الأزمات الحاضرة على المستقبل، بحيث يتمدّد الزمان والمكان وكأنهما يصلان إلى ما بعد التاريخ. نحن في سفر الرؤيا في ذهاب

---

[٣] يعود سفر الرؤيا بشكل دائم إلى الكتابات اليهوديّة، دون أن يذكرها بشكل مباشر، فنجد في هذا السفر المؤلف من ٤٠٥ آيات ٢٨٥ مرجعًا من العهد القديم، من التوراة، وسفر القضاة، وصموئيل، والملوك، والمزامير، والأمثال، ونشيد الأناشيد، وأيوب، والأنبياء... لكن نصف المراجع الكتابيّة ترجع إلى المزامير وحزقيال ودانيال وأشعيا.

[٤] في رؤ ٦:٨-١٢؛ ٢:١٦-١٣ عودة إلى ضربات مصر، وفي حز ٧-١٤ تعود رؤ ١٨:٢٢-١٩ إلى تكوين شعب الله الجديد، بحسب تشريع كان قد أعطي للشعب القديم (رج تث ١:٤-٢؛ ٣٢:١٢؛ ١٩:٢٩-٢٠).

[٥] رج. مثلاً نبوءة حزقيال (١:٩-١٦:١٠)، ورؤيا أجزاء أورشليم والهيكل الخمسة (رؤ ٢٠-٢٢ رج. حز ٣٧-٣٨)؛ وخبر ضربات مصر كما يذكره عا ٦-٨ (رج. رؤ ١٦:٨) ونهاية الأزمنة بحسب زك١٤ (رج. رؤ٧)، وصورة عرش الله في دا ٧ (رج. رؤ ١:٤-٥).

وإياب دائم بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتنقّل مستمرّ بين السماء والأرض. حقّق يسوع ابن الله الذي تجسّد، اللقاء بين ما لا يمكن أن يلتقي، إنه من تقدّمه الرؤيا تحت صورة حمل مذبوح ومنتصر، رمزًا لانتصار المسيح بقيامته على كل قوى الشر.

عند قراءتنا لكتاب "الحرب اليهوديّة" للمؤرّخ فلافيوس جوزف، ثم لجداول "Annales" المؤرّخ الروماني تاسيت، نفهم أن نص رؤيا يوحنا كُتب في جزء كبير منه بمناسبة أحداث الحرب اليهوديّة التي يذكرها الأول، وأحداث العالم الروماني كما ينقله الثاني. فالكتاب ليس بالتالي عملاً خارج التاريخ، نقلاً عن صوت سماوي لا علاقة له بحياة البشر اليوميّة، إنه بالأحرى قراءة لعمل الله، من خلال الأحداث التاريخيّة المتوالية، لا صدفة، بل بحسب المشيئة الربّانية.

جمع يوحنا إذًا باليونانيّة، الأسلوب الأدبي الرؤيوي، بحسب قواعده وعباراته، مع التاريخ الذي يحياه عصره.

في الرسائل السبع مثلاً (رؤ ٢-٣)، تجذّر واضح للكتاب في مشاكل الجماعات المسيحيّة الواقعيّة. كانت هذه الجماعات، في أواخر القرن الأول، في مواجهة غير متكافئة مع السلطة الرومانية، على كل الأصعدة العقائدية، والاجتماعية والدينية والسياسية. وإضافة إلى مشاكلها الخارجيّة، تعرّضت أيضًا إلى أزمات دينيّة داخليّة، وتجارب صعبة. شعر المؤمنون بأنهم أمام نهاية وجودهم، وبأن الكارثة واقعة لا محالة. هنا جاء يوحنا الشيخ الرائي، ليعلن بأن المعركة التي تنتهي بانتصار الحمل، لا يمكن أن تترك المكان للفوضى وكأن الخالق المخلّص غير حاضر لشعبه، والحال هو أن الله أرسل ابنه ليخلص العالم، فنهاية المعركة لا بد وأن تكون إذًا بداية عالم جديد، ترمز إليه أورشليم السماويّة. هذا العالم الجديد هو عمل الله الذي يتحقّق بمشاركة الإنسان. النهاية بحسب الرؤيا ليست إذًا دمار كل شيء، وخرابه تحت ضربات الكوارث والحروب، بل هي تحوّل للبشريّة في ضوء المدينة السماوية. إنها حياة حقّة يتشارك الله فيها والإنسان إلى الأبد في ملء السلام والحياة والمحبة.

وفي الفصلين الرابع والخامس ذكرٌ لأزمات كونيّة، يمكن تقريبها مما يذكره سفر أعمال الرسل ٢٦:١٦ عن زلزال كبير، وهو ما يشير إلى معرفة يوحنا لتاريخ المسيحيّة، وإلى الأهميّة التي يعطيها لها. يأتي تاسيت مثلاً في تأريخه (٢٢،١٧) على ذكر نجوم ومشاعل، نقرأ عنها في رؤ٨، مما يدل ربما على أن الكلام هو على مذنّب ما، ظهر في تلك الحقبة وكان للحدث مكانته عند الناس[٦].

وتتوالى بعد ذلك مواضيع ورموز أقلّ وضوحًا، لكنّها كلّها تدلّ على مسيرة تاريخيّة هي مزيج من التنبيه، والدعوة إلى المقاومة البطوليّة، في وجه الوحش وعلامته. في كل الأحوال، تبقى دعوة الرؤيا واحدة في الصعوبات كما في خارجها. فإن كان سفر الرؤيا يشير إلى اضطهادات واسعة تطال كل أتباع الحمل[٧]، فإننا بالرغم مما نعرفه من اضطهاد ضد المسيحيين مارسه دوميسيان في روما بين سنة ٩٠-٩٥، نرى من خلال رسالة الوالي بلين الشاب Pline le jeune إلى الامبراطور تراجان بعد ذلك بحوالي ٢٠ سنة، إنه لم يكن هناك من حُكمٍ ضد المسيحيين، وأن ما عاناه المسيحيون في روما لم يطل المسيحيين في الولايات الرومانيّة خارجها.

فوجود يوحنا الشيخ في بطمس لم يكن بالضرورة إذًا، نفيًا "من أجل كلمة الله وشهادة يسوع"، بل ربما كان رحلة رسوليّة من أجل نقل كلمة الله وبشارة يسوع". فيوحنا هو الشاهد الذي يجب عليه أن يحمل إلى الكنيسة ما اختبره، وما رآه لكل الذين يعيشون حياتهم العاديّة في التجارة، وفي ممارسة ما ينادي به العالم. لكن على عكس ما يحياه العالم، فإن مثاله في هذه المهمّة هو

---

[٦] تعود هذه الخضّات الكونيّة إلى فترة حكم كلود، أي إلى القرن الأول بعد الميلاد.

[٧] (رج ٢:١٣؛ ٦:٩؛ ٧:١٤؛ ١٢:١١، ١٧؛ ١٤:١-٥، ١٣؛ ١٦:٦؛ ١٨:٢٤؛ ١٩:٢؛ ٢٠:٤)

يسوع الشاهد الأمين (٥:١)، كلمة الله بالذات (١٣:١٩)، يحمل سيفًا ذا حدّين (١٦:١؛ ١٢:٢؛ ١٥:١٩). وبالتالي، فإن المؤمنين جميعًا هم بدورهم شهود، يُذبح بعضهم على مثال معلّمهم (٩:٦)، أو تقطع رؤوسهم (٤:٢٠) لأجل هذه الكلمة وهذه الشهادة[٨].

فمع أن اهتمامات الكاتب تطال التاريخ والخلاص. فإن الرؤيا ليست نبوءة لما سيحدث. فالرائي ينطلق من ظروف حياتيّة أثّرت به وبعصره، كحدث دمار الهيكل، والعبادات الامبراطوريّة التي فُرضت على المؤمنين فآلمتهم، والاضطهادات التي تتربّص بهم، ومواجهتهم للشرير، والفتور والانجرار مع تيارات هذا العالم... ليقدّم عرضًا لتاريخ المسيحيّة المعاصرة على شكل نبوءات. لكن جلّ ما يهمّه في كتابه هو الوعظ والتشجيع، للثبات في الجهاد بفرح.

رؤى سفر الرؤيا بين الواقع والمرتجى

في سفر الرؤيا سلسلة طويلة من الرؤى والأحلام، يشجّع فيها الرائي المسيحيين الأوائل، ليثبتوا أمام الاضطهادات التي يتعرّضون لها، والتي استمرّت حتى القرن الرابع[٩]. يمكن للقارئ أن يستنتج من هذه الصور القديمة العنيفة، التي هدفت إلى هزّ المشاعر والنفوس، ثلاثة أجزاء:

- الجزء الأول (١-١١)، يهدف إلى إبراز مصير المسيحية في مقابل اليهوديّة التي انبثقت منها. فبعد التحذير وبعض التوصيات التي يوجّهها إلى كنائس آسيا السبع، يسلّم الله إلى الحمل، رمز المسيح، مستقبل الإنسانيّة المحفوظ في كتاب مغلق بسبعة أختام (كتاب الشريعة). عند فتحه للأختام الأربعة الأولى، يظهر فرسان الرؤيا الأربعة، معلنين الحرب والقتل والجوع والموت؛ ويؤكّد الختمان التاليان مجد الشهداء وحماية الأبرار المئة والأربعة والأربعين من كل شر، وظفرهم في السماء؛ في حين يعلن الختم السابع مجيء اليوم العظيم في ختام كوارث تنتهي بمجيء المسيح.
- الجزء الثاني (١٢-١٩:١٠)، يبدأ برؤيا المرأة والتنين، أي بالكنيسة (المتّحدة بالله كأنها عروسه)، والشيطان (الحية في سفر التكوين، والتنين في سفر الرؤيا). هذه المرأة الحبلى التي تصيح من ألم المخاض، هي رمز للإنسانيّة. في مواجهتها للتنين رمز الشر والشرير في كل آن ومكان. ستحصل المرأة على مساعدة السماء، ومع ذلك فإن التنين لم يمت لأنه أعطى سلطانه للوحش الذي "يتكلّم بالكبرياء والتجديف"، ثم لوحش آخر، و"من كان ذكيًا فليحسب عدد اسمه، إنه عدد إسم إنسان وعدده ٦٦٦" (١٨:١٣). هذان الوحشان هما صورة عدو المسيح ابن الله، الذي لا زال يحكم العالم باسم الشيطان.

---

[٨] ترى الرؤيا في أتباع المصلوب القائم من الموت، عنصرًا أساسيًا من محاور الخبرة المسيحيّة. كانت المواجهات ضدّ المؤمنين، تأتي من الرومان ربما، ولكن من اليهود المتزمّتين بشكل خاص، على ما نرى من إشارات واضحة في نص رؤيا (٩:١؛ ٩:٢، ١٠ ٢٢؛ ٩:٣، ١٠، والمحنة الكبرى في ١٤:٧)، وعلى ما نقرأ عن الجماعات البولسيّة في غلاطية، من حيث رفض اليهود لدخول الأمم في الإيمان المسيحي دون مرورهم في الختانة وحفظ الشريعة.

[٩] يطرح هذا الكتاب أسئلة لا تعدّ ولا تحصى. فمن هو أولاً يوحنا هذا الذي ارتأى أن ينقل لقرائه في الفصل ٢٢ رؤيا نبويّة كهذه؟
أراد التقليد، استنادًا إلى يوستينس في حواره مع تريفون وإلى إيريناوس في كتابه ضد الهرطقات، أن يكون كاتب سفر الرؤيا يوحنا الإنجيلي الشاهد على صلب المسيح وقيامته. لكن أوسابيوس القيصري، وديونيسيوس الاسكندري، وغيرهما اعترضوا على هذا الأمر، وهو ما ترجّحه الدراسات اليوم. فالسفر كُتِب في عهد الامبراطور الروماني دوميسيان (٨١-٩٦ب.م.)، ولا يمكن أن يكون الإنجيلي يوحنا قد ألّفه، فلا التواريخ ولا الأسلوب يدلان على ذلك. فمن الأفضل بالتالي، الكلام عن مدرسة فكريّة يوحنويّة مرتبطة بشخص الإنجيلي يوحنا ولاهوته.

لكن العقاب آتٍ، فابن الإنسان يأتي "ويبده منجل مسنون" للحصاد. وإذا بسبع كؤوس مملوءة نكبات يحملها سبعة ملائكة. جفّ ماء الفرات عند الكأس السادسة، فاستطاع ملوك الشرق أن يعبروا ويتجمّعوا لمعركة نهائيّة "في هرمجدّون" (١٦:١٦)، ثم تأتي الكأس السابعة والنكبة السابعة لتدمّر بابل، البغي المشهّرة، رمز الامبراطوريّة الرومانيّة مضطهدة المسيحيين.

- الجزء الثالث (٢٠-٢٢) وهو الجزء الأكثر غموضًا، نرى فيه كلمة الله على رأس الجنود السماوي (١٣:١٩)، يسحق الوحشين ويرميهما في مستنقع النار (٢٠:١٩)، ويقيّد "التنين الحية لألف سنة" (٢:٢٠-٣)، بعد ذلك يُطلق التنين مرة أخيرة وقصيرة، فيضلّ "الأمم في زوايا الأرض الأربع، اي ياجوج وماجوج" (٨:٢٠) قبل دماره النهائي الأبدي. عندها تلتقي السماوات والأرض، وتشعّ اورشليم السماويّة "مهيّأة مثل عروس مزيّنة لعريسها" (٢٠:٢١). وتختم الرؤيا الكتاب المقدّس بعرض لكمال ما بعد هذه الأرض، وتنتهي بهذه الكلمات: "يقول الذي يشهد بهذه الأشياء: أجل إني آتٍ على عجل، آمين! تعال أيها الرب يسوع"[١٠].

ألم... ورجاء... وصلاة تحضّر مجيء الرب

ما الذي يحثّ الإنسان على التأمّل في أزمنة النهاية؟

أمام كل الشر، والنجاح الذي يبدو وكأنه يحققه في الحياة العمليّة، وعلى ما ترمز إليه في سفر الرؤيا الضربات والكوارث، يتساءل المؤمن: إلى متى يا رب؟

ويلي هذا السؤال سؤال آخر هو: لماذا الشر؟ لماذا الألم الذي يصيب الإنسان الفرد، كما يصيب الجماعة والبشريّة؟

بصفته نبيًّا، لا يجيب يوحنا بالتنبّؤ حول المستقبل، لكنه يصرخ صرخة رجاء، على ضوء قيامة المسيح الذي غلب الألم والموت. ينطلق من زمن حاضر البشر المفتوح على مستقبل قريب، ليعطي مفتاحًا لكل الأحداث الصعبة وغير المفهومة التي يعانون منها. يستوحي يوحنا من خبرة الشعب اليهودي ومن لغته وصلواته، ليجعل من الكنيسة صورة شعب الله المكتملة، باكورة العالم الجديد والبشريّة الجديدة، التي تستسلم لقيادة المسيح موسى الجديد، فتجتاز به كل المحن نحو الفصح الجديد. يتمّ الاحتفال بهذا النصر الفصحيّ يوم الأحد "يوم الرب"، كتذكار حيّ للقيامة، من خلال المشاركة بالافخارستيّة بشكل خاص، لأنها الرابط بين الزمن الحاضر، أي زمن صعوبات الجماعة والدعوة إلى التوبة من جهة، وبين الزمن الاسكاتولوجي الذي يتخطّى الزمن، للمشاركة في ملك المسيح القائم من الموت من جهة ثانية.

---

[١٠] اعتبر القديس أغوسطينس، في برهانه على أن الملك الألفي ليس نهاية العالم، أن فترة الألف سنة بدأت مع ولادة المسيح، لذلك كان الخوف والهلع عارمًا على مشارف السنة ١٠٠٠م.

وفي زمن الإصلاح البروتستانتي، اعتبر الإصلاحيون أنفسهم أنهم مؤسّسو المسيحيّة الأصليّة الجدد، واستندوا إلى سفر الرؤيا لتبرير مقاومتهم ضد البابويّة. فرأى لوثر في بابل صورة الكنيسة الرومانيّة، وفي البابا ملامح الوحش، وقد عبّر مرارًا عن إيمانه بعودة المسيح القريبة.

لكن تبيّن عبر الزمن أنه لا يجدر قراءة سفر الرؤيا قراءة حرفيّة. فقد ظهرت صعوبات شرحه الحرفي منذ القرن السادس عشر، فبدأ اليسوعيون محاولة وضعه في إطاره التاريخي. منذ ذلك الوقت بدأ المفسّرون يرون في الرؤيا شهادة المسيحيين الأوائل عن زمنهم وخبرتهم، وأكّدوا أن الرؤيا ليست خبرًا عمّا سيكون في المستقبل، بل هي نقلٌ لخبرة الانتقال من اليهوديّة إلى المسيحيّة. لم يُقبل سفر الرؤيا في القانون، في مجمع اللاذقيّة الأول سنة ٣٦٠، لكنّه أُدخل في لائحة الكتب القانونيّة نهائيًا سنة ٣٩٧، خاصة بسبب الفصل العشرين، الذي يتكلّم عن ملك المسيح لألف سنة على الأرض. فقد رأى آباء الكنيسة في عدم نهاية العالم، وفي انتصار الإيمان المسيحي على الامبراطورية الرومانية، دلالة على أن الملك الألفي ليس للزمن الآتي، بل هو زمن مُلك الكنيسة الذي تحقق.

تشكّل الليتورجيّة اليهوديّة، إطارًا لسفر الرؤيا، بعد أن أعطاها الرائي طابعًا مسيحيًا. في رؤ ٤:٤ نحن أمام شيوخ في ثياب بيضاء، هم رمزٌ إلى الشخصيّات الكبيرة في العهد القديم، آباء العهد الأول، وأجداد المسيحيين. على رؤوسهم أكاليل هي من صفات الأبرار (أش ١٢:٩)، يعدُ بها الرب كل من كان اميناً في نهاية الرسائل السبع.

وفي رؤ ١١:٤ لازمة نقرأها في ٨:٤ وكأنها نشيد: "أنت أهل أيها الرب إلهنا لأن تنال المجد والإكرام والقدرة، لأنك خلقت الأشياء كلها وبمشيئتك كانت وخُلقت". في رؤ ٩:٤ كلام عن "المجد والكرامة والشكر"، والكلمة في اليونانيّة هي افخارستيا. وبالفعل فإن لنا في رؤ ٨:٤-١١ تركيبة افخارستية، فيها عودة إلى الله الخالق. ثم هناك التقديسات الثلاث رؤ ٨:٤، ثم الكتاب الذي يجب أن يُفتح ليُفهم[١١].

هنا لا يتساءل الرائي إن كانت الأحداث الرؤيوية التي درجت عليها التقاليد من قبله ستحدث أم لا، بل يبدو وكأن سؤاله الوحيد يتمحور حول التالي: هل القادر على فتح الأختام حاضر أم لا!

وفي الرسائل إلى الكنائس، يصل الرائي إلى البعد الاسكاتولوجي في ختام كل رسالة، بالإشارة إلى العماد والافخارستيا. وهذا الجمع بين الإثنين هو من ميزات الأعياد الفصحيّة في الكنيسة الأولى.

نعم إنّ همّ الرائي هو الشهادة لفصح المسيح. يُعلن في رؤياه لإخوته وللمسيحيين أن لعبادتهم، وليتورجيّتهم، وأسرارهم قيمة كبيرة في تحضير مجيء الرب؛ وأنها مشاركة فعّالة، منذ الآن، في هذا الزمن الأخير. وفي هذا الإطار تجمع الرؤيا في "افخارستيا" واحدة، وفي فعل شكر واحد، كل مؤمني العهد القديم مع مؤمني الكنيسة. ما رآه الرائي هو ما نستنتجه من الاحتفال الافخارستي. لقد فَهِم يوحنا أن الافخارستية هي أبعد من أن تكون مجرّد لقاء روحي، لأنها فعليًا حدث كوني، فيه يصبح الله حاضرًا: إنّها حدث رؤيوي.

سفر الرؤيا هو سفر الرجاء الذي يحتفل به المؤمنون في الافخارستيا، حيث ينشدون عاليًا "ماراناتا"، تعال يا رب، يا من أتى! إنه الرجاء المعيوش في عالم تخترقه المواجهات، لكنّه عالم غني بالجهاد الواثق بأمانة الرب.

ما أراد الرائي أن ينادي به هو إذًا التالي: "قداسنا هو الرؤيا الآن". ولكن إن كان ذلك صحيحًا فما معنى "ملك الألف سنة" الذي يحضِّر نهاية العالم إذًا؟

رجاء بمستقبل أفضل

ترد فكرة ملك الألف سنة في إثنين من الكتب المقدّسة هما سفر دانيال في العهد القديم، وسفر رؤيا يوحنا في العهد الجديد. يتكلّم الأول عن مملكة أرضيّة، في حين يقدّم الثاني الوجه السماوي للحدث الأكبر المتمثّل بـ "مجيء ملكوت الله". في الأول

[١١] كُتب سفر الرؤيا ليكون رسالة (١:٤-٥، ١١؛ ١٠:٢٢ي) يقرأها المؤمنون أثناء اجتماع الكنيسة للعبادة يوم الرب (١٠:١) في الكنائس السبع في أسيا الرومانيّة (١:٢٢-٣: ٢٢)، على مثال رسالة بطرس الأولى، أو رسالة بولس إلى أفسس، تُقرأ للتأمّل والاتعاظ. فالحكم الذي يهدّد إزمير، أو سرديس موجّه إلى كل الكنائس، لأن الروح هو من يتكلّم إليها جميعًا (٦:٣)؛ والعدد الرمزي المتمثّل بالرقم سبعة، كما غياب الرسائل إلى كولوسي أو هيرابوليس، الموجودتين في المنطقة عينها، يشير إلى أن هذه الكنائس السبع تمثّل كنيسة العالم كله. تعكس هذه الشموليّة وجهًا أساسيًا لرسالة سفر الرؤيا، يتمثّل بالإعلان أن الرجاء المسيحي يتطلّع إلى تحقيق مشروع الله الهادف إلى خلق شعب واحد مؤمن، ينبثق من الشعوب والأمم كافة.

تبدو كل نبوءات العهد القديم، المرتبطة بالمرحلة الزمنية الأرضية التي يتمّ فيها حكم الله، كأنها تتلخّص في نبوءة دا ١٢:٣٥-٤٤؛ ٧:١٣-٢٧؛ كما يبدو نص رؤ ٢٠:١-٦ كملخّص لكل ما يعلنه العهد الجديد عن الموضوع.

قبل التوقّف بالعمق عند ما يعنيه مصطلح "ملك الرب على الأرض الذي سيدوم ألف سنة" على ما تؤكّده الرؤيا، يجدر بنا أولاً التذكير بالقراءة الرمزيّة التي تحكم نص هذا الكتاب. فالعدد ألف هو ١٠X١٠X١٠، وهو بالتالي عدد الكمال الأرضي (١٠) مضروب بالعدد ثلاثة رمز الكمال الإلهي. فالمقصود إذًا، هو فترة مقدسة تكون فيها الأرض مسرحًا لكل الفضائل الإلهيّة، ويكون فيها الشيطان مقيّدًا في الهاوية (٢٠:١-٣)، بعد انهزامه والحكم عليه وعلى كل الأنبياء الكذبة (رؤ١٩).

ظنّت قوى الشر بأنها انتهت من الحق والحياة، يوم صُلب المسيح على الجلجلة، لكن الصليب كان سبب الارتفاع الأعظم، فتمجّد الابن وملَكَ في السماء، وطَرَد منها عدوّه الشرير. فما كان من هذا الأخير إلا أن عاث في الأرض انتقامًا من المؤمنين بالرب يسوع، وأراد إبادتهم ليتسلّط وحيدًا في هذا العالم. لكن الاضطهادات على صعوبتها، أنضجت الكنيسة، فصارت حاضرة لتتمجّد مع المسيح وتملك معه على الأرض. تطهّرت الأرض من الشرير وأتباعه، وانفتحت الهاوية لتبتلع الشرير وتريح البشريّة.

ويقول قائل لا زال الشرير حتى الآن سيد عالم الظلمات وأمير هذا العالم، فيؤكّد نبي سفر الرؤيا بأنه يأتي يوم تنقاد فيه البشريّة لروح الله، فتتحرّر من كل قوى الشر. فلا مجال إذًا لليأس والحزن، لأن المؤمنين هم أولاد الرجاء والفرح. في ذلك اليوم سيكون للمختارين الفرح التام بحصولهم على الخلاص، وبتحوّلهم إلى سبب بركات للآخرين فيكونون ملوكًا وكهنة (٢٠:٦) يخدمون الله ليلاً نهارًا في هيكله (٧:١٥).

خلق الله الإنسان وجعله سيدًا على الخليقة، لكن الشرير سرق هذه السلطة بالاحتيال، ولا بد أن يستعيد الإنسان سلطته وكرامته، فيحيا في الأرض التي أعطاها الله له بسلام. لا بد أن تتحقّق أحلام السعادة المقدّسة، فتخلف الكنيسة الممجّدة، الشرير وقواته في حكم الأرض! هذه هي رسالة الرؤيا في كلامها عن مُلْك الألفية. إنها رسالة روحية، رسالة رجاء تستند إلى لاهوت القيامة والخلاص، لا تجوز قراءتها قراءة حرفية تعود بالقارئ إلى نظرة أنبياء العهد القديم. كان هؤلاء الأنبياء عامة، ودانيال الذي كتب بعد سقوط الامبراطوريات الوثنية الأربع، بشكل خاص، يبشّرون بتسلّط شعب الله على العالم أجمع. أما يوحنا فيعلن صراحة أن المسيح هو رئيس الإنسانيّة الحق، وأن الكنيسة الممجّدة هي أعضاء قوّته في الأماكن السماويّة.

فإلى جانب عدد المختارين اللامحدود، الآتين "من كل شعب ولسان"، الذين رآهم يوحنا في السماء أمام عرش الحمل، يذكر أيضًا ١٤٤٠٠٠ شخصًا مختومين، وقد أتوا من كل "قبائل إسرائيل"، أي ١٤٤٠٠٠ يهودي اهتدوا إلى الرب يسوع، وثبتوا بالرغم من كل المواجهات.

كل البشر بحاجة إلى مخلّص. على هذا المستوى لا يفترق اليهودي عن الوثني، ولن يصل أحد منهم إلى الله إلا بالإيمان بالمسيح بروح واحد. في المسيح لم يعد هناك رجل ولا امرأة لا يهودي ولا وثني... ولم يعد هناك شعب يحكم وآخر يخضع، بل تتحول البشريّة قاطبة إلى إنسانيّة مطيعة للرب، تشاركه فرحه والسلام.

اسكاتولوجيا الرؤيا هي في العمق اسكاتولوجيا الأناجيل. فمن الواضح أن في الرؤيا عودة إلى ما جاء من أقوال رؤيويّة في الإنجيل (مت ٢٤:٥؛ مر ١٣؛ لو ١٧،٢١)، من دعوة إلى السهر والانتباه (مر ١٣:٩، ٣٣، ٣٧)، ورفض لأي تحديد لزمن نهاية

الأزمنة من جهة (مر ١٣:٣٢)، ومن خراب واضطهادات للتلاميذ، وتعاظم للشر قبل ظهور ابن الإنسان للدينونة من جهة أخرى.

خاتمة

نتكلّم عن اللاهوت وكأننا في معرض الدفاع عن المعتقدات المسيحيّة التي درجت الكنيسة على إعلانها منذ القِدم، أو عن العقائد التي تعلنها الكنيسة اليوم، في حين أن حقيقة اللاهوت تكمن في كونه رحلة لاكتشاف الحق والحياة. هذا ما فهمه يوحنا الشيخ الرائي كاتب سفر الرؤيا، ولذلك استطاع أن يغامر في دخول عالم الاسكاتولوجيا، لقناعته بأن الإنسان لا يستطيع أن يصدر حكمًا ما، إلا إنطلاقًا من الوحي.

في سفر الرؤيا أسئلة عديدة وأجوبة أكيدة.

نهاية العالم؟ تحديد الزمان والكيفيّة؟ أهذا ما تريده الرؤيا؟ لا بل تهدف إلى تأكيد ما نقرأه في مت ١٣:٢٥ من أن "أحدًا لا يعرف اليوم ولا الساعة".

فعن أية اسكاتولوجيا نتكلّم؟ هل هي الاسكاتولوجيا الفرديّة، أو الاسكاتولوجيا الكونيّة، أو اسكاتولوجيا التاريخ، أو اسكاتولوجيا الطبيعة؟

هنا يأتي سفر الرؤيا ليردم الهوّة بين كل هذه الانتظارات، ويعلن اسكاتولوجيا واحدة تتخطاها كلّها، وتلخّصها كلّها برجاء واحد هو رجاء مجيء ملكوت الله، لأن الله وحده هو محور الرجاء. أعاد يوحنا الشيخ في كتابه سؤال البيبليا الجوهري: متى سيظهر الله بكل مجده في السماء وعلى الأرض؟ وأعاد جوابها الأكيد الدائم: "مجده يملأ الأرض".

ففي وقت يشاع فيه أن سفر الرؤيا هو رمز للدمار الآتي، وأن الاسكاتولوجيا فيه هي نهاية العالم، على ما في نصوص الضربات التي يتفنن في عرضها[١٢]، يعلن كاتب السفر أن الاسكاتولوجيا ليست مجرّد انتظار لنهاية العالم والأزمنة، فهي أيضًا انتظار لمستقبل شخصي، ولمصير فردي بعد هذه الحياة.

نحن نحيا حضارة تخاف التفكير بالموت وما يليه. نحن نهرب كأفراد من فكرة الموت، ولا نتّفق كعلماء على مفهوم واحد للحياة بعد الموت؛ فيأتي سفر الرؤيا ليمحور كل خوف البشر ورغباتهم، حول المسيح القادر وحده على إعطاء الإنسان الشجاعة ليعيش الرجاء في غمرة الموت، والعزاء في خضم الحزن القاتل. إن قلب الاسكاتولوجيا المسيحيّة ليس الكون ولا الذات الشخصيّة، بل الله الذي فتح لنا المستقبل بالمسيح يسوع. اسكاتولوجيا المسيحيّة هي الشراكة التامة التي يحياها الأحياء

---

١٢) إن التوافق غريب بين عصرنا الحاضر والعصور القديمة. فاليوم، كما في زمن الرؤيا، انتهى عصر الأنبياء. مات الله في شكله الديني التقليدي، ويشهد العالم فورة فكريّة بديلة لم تُشبِع جوع الناس، فكثرت التوقعات والتنبوءات، ووجد الباحثون في سفر الرؤيا مصدرًا يرتكزون عليه لتأكيد مقولاتهم، الإيجابيّة منها والسلبيّة. جاءت ويلات الحرب العالميّة الثانية، مع ما حملته من إبادة وقنابل نوويّة ومع ما أنتجته من حروب باردة وساخنة، لتؤكّد هذه الاعتقادات وتغذّي الخوف من الآتي. ففي حين أراد مؤسّسو الاتحاد الأوروبي أن يكون علم هذا الاتّحاد رمزًا للعالم الجديد المرجو، فوضعوا فيه النجوم الإثني عشر (الثابتة رغم تغيّر عدد البلدان المنتسبة إليه)، وقد أخذوه من رؤيا المرأة المحاطة بالنجوم؛ استغلّ آخرون نص الرؤيا لتنمية الخوف والحفاظ على النزاعات. هكذا نرى أن الرؤيا تقدّم نصوصًا هي بحد ذاتها إشارات ودلالات، لكنّها نصوص مركّبة مستلّة من مصادر مختلفة من العهد القديم.

والأموات مع المسيح، بمبادرة محبّة من قِبَل الله، الخالق والمخلّص، الذي يغفر برحمته ويحترم الحريّة البشريّة. هذا ما تعلنه الرؤيا اليوحنويّة.

أما ملك الألف سنة، الذي أخذ أهميّة كبيرة في الغرب حتى احتلّ مكانة أكيدة في الفكر اللاهوتي والاجتماعي، فما زال يطرح أسئلة متعدّدة فهل هو حكم المختارين الذي سيمتد على مدى ألف سنة؟ ومن هم هؤلاء المختارون؟ وهل الألف سنة هي مدة تاريخيّة محدّدة تستطيع فيها "الأمّة المختارة" تحقيق ما تصبو إليه، وما تعتقده حقيقة مطلقة؟ وجواب سفر الرؤيا هنا أيضًا أكيد: إنها ألفيّة اسكاتولوجية وليست تاريخيّة بالتأكيد. فمنطق سفر الرؤيا واضح، يقوم على أن محور اهتمام المسيحي ليس سلطة المسيح على هذه الأرض وحسب، بل هي المشاركة في "معركة المسيح" ضد الشر في كل مظاهره. وزمن الرؤيا ليس الزمن الذي يمرّ، بل الزمن الذي يأتي ليدوم، فلا يمكن بالتالي أن نضع زمن الألفيّة المنتظرة في زمن تاريخي، تبرمجه رزنامة بشريّة لوقت يمرّ ويزول، بل يجدر فهم هذا الزمن الألفي، على مستوى الشراكة مع المسيح، برفقة روحه القدوس. إن اللاهوت المسيحي ليس لاهوت التاريخ الكوني بل هو لاهوت تاريخ الجهاد والرجاء.

لم يكتب الرائي نبوءته في سفر الرؤيا، على ما يفعل أنبياء عصرنا، الذين يعلنون الدمار والخراب الآتي. إنه نبي كلمة الله وروحه الخالق، إنه الذي يعلن المستقبل الإلهي، والعدل الربّاني والملكوت السماوي، من قلب الدمار، ومن قلب المآسي التاريخيّة والكونيّة. فلاهوت سفر الرؤيا الاسكاتولوجي يرتكز على تعالي الله، الذي يتدخّل في التاريخ ليحكم ويخلّص، جاعلاً من الرجاء أساس الاسكاتولوجيا.

فهل يمكننا بعد اليوم ألاّ ننتقل من اسكاتولوجيا الخوف، القائمة على مستقبل يحضّره الإنسان بأعماله الشريرة الخاطئة، إلى اسكاتولوجيا الفرح، المستندة على الإيمان بأمانة الله لمشروعه الذي بدأه بالخلق، بالرغم من عدم أمانة المخلوق؟

إن سفر الرؤيا هو سفر الفرح لأنه كتاب البشرى السارة، إنه إنجيل يبشّر بعدالة الله وبفرح مجيئه. فكيف يمكن للمسيحيّين أن لا يكتشفوا فيه سرّ البشرى السارة؟ إن الدينونة الأخيرة ليست حقيقة مروّعة؟ بل هي أجمل ما يمكن أن يكون. إنها بشرى الانتصار الأخير على الأشرار القتلة، وبشرى الإعلان أنه لا يمكن لهؤلاء أن يظلّوا ظالمين قاتلين لضحاياهم. إن الاسكاتولوجيا المسيحية التي تذكّر بها الرؤيا، هي بشرى فرح بالله الذي يعيد إلى سلطته الإلهيّة الحق والملك، ليعيد بناء حياة جديدة في أرض جديدة، وسماوات جديدة، حيث يكون هو كلاً في الكل، فيزول كل ما ليس فرحًا ومحبّة، ويتألّه العالم ويتمجّد.

آمين "ماراناتا" تعال يأت رب، يا من جاء.